

مُوسَى وَالْعُلَيْقَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ
المحاضرة ١: يَدُ اللَّهِ غَيْرُ الْمَرِيئَةِ
أ.ر. سي. سِرُّول

سَنَبْدُ الْيَوْمَ بِتَعْلِيمِ سُلْسَلَةِ جَدِيدَةٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنْ عَشْرِ رَسَائِلٍ، تَتَمَحَوَّرُ كُلُّهَا حَوْلَ أَهْمِيَّةِ الْإِقَاءِ الَّذِي كَانَ لِمُوسَى فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ مَعَ اللَّهِ فِي الْعُلَيْقَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ. أَنَا مُقْتَنِعٌ بِأَنَّ تِلْكَ الْحَادِثَةَ شَكَّلَتْ نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ، لَيْسَ فِي حَيَاةِ مُوسَى فَحَسْبُ، وَلَا فِي تَارِيخِ إِسْرَائِيلَ فَحَسْبُ، بَلْ فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ كُلِّهِ أَيْضًا. مَا سَأَفْعَلُهُ فِي الْمَحَاضِرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ هُوَ الْإِقَاءُ نَظْرَةً سَرِيعَةً عَلَى الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى مِنْ حَيَاةِ مُوسَى الَّتِي آدَّتْ إِلَى ذَلِكَ الْإِقَاءِ فِي الْعُلَيْقَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ. وَسَتَتَمَحَوَّرُ الرِّسَالَةُ الثَّمَانِيَّةُ الْأَخِيرَةُ حَوْلَ اللاهوتِ الْمُعْلَنِ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ الْمُعْلَنَةُ لَنَا فِي تِلْكَ الْحَادِثَةِ بِالذَّاتِ.

أَنَا أَقْرَأُ اللَّيْلَةَ مِنْ تَرْجَمَةٍ جُنَيْفٍ الْجَدِيدَةِ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الْدِرَاسِيِّ. وَإِذَا كُنْتُمْ تَمْلِكُونَ هَذِهِ التَّرْجَمَةَ أَوْ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ الْدِرَاسِيِّ لِلإِصْلَاحِ، سَوْفَ تَرَوْنَ مَطْبُوعًا عَلَى غِلَافِ الْكِتَابِ شِعَارَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ هَذَا، وَهُوَ كَانَ رَمَزَ الإِصْلَاحِ الْبُرُوتِسْتَانِيَّ، وَبِالطَّبْعِ، الرَّمْزُ هُوَ الْعُلَيْقَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ. إِذَا، فَلنَبْدِ اللَّيْلَةَ بِدِرَاسَةِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ سِفْرِ الْخُرُوجِ، مَعَ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ. فِي الْآيَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ نَقْرَأُ كَلَامًا مُنْذِرًا بِالسُّوءِ وَمُنْذِرًا بِالشَّرِّ، وَهُوَ يَعْرِضُ مَفْهُومًا يُثِيرُ قَلْبًا عَمِيقًا وَشَدِيدًا، وَيْمَهِّدُ الطَّرِيقَ لِكُلِّ مَا سَيَتَّبَعُ فِي سِفْرِ الْخُرُوجِ.

جَاءَ فِي الْآيَةِ الثَّامِنَةِ مَا يَبْلِي "ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ". إِذَا كُنْتُمْ مُطَّلِعِينَ عَلَى التَّارِيخِ الْمُعْلَنِ فِي سِفْرِ التَّكْوِينِ فَإِنَّكُمْ تَشْعُرُونَ فَوْرًا بِأَهْمِيَّةِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ. لِأَنَّ سِفْرَ التَّكْوِينِ يَنْتَهِي بِدَعْوَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى تَرْكِ أَرْضِ كَنْعَانَ، حَيْثُ كَانَ الْجُوعُ مُسْتَشْرِبًا، وَالذَّهَابُ إِلَى حُدُودِ مِصْرَ، حَيْثُ كَانَ يُوسُفُ يَشْغَلُ مَنْصِبَ رَئِيسِ وُزَرَاءِ. أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْعَائِلَةُ الْيَهُودِيَّةُ أَرْضَ جَاسَانَ لِتَنْزِلَ فِيهَا، لَكِنْ مَعَ مُرُورِ السِّنِينَ، سَكَّانُ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْيَهُودِيَّةِ الْمُقِيمَةِ ضَمَّنَ حُدُودَ أَرْضِ مِصْرَ نَمَوْا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، وَأَصْبَحُوا يُشَكِّلُونَ شَرِيحَةً كَبِيرَةً مِنْ سُكَّانِ مِصْرَ. وَفِي الْأَيَّامِ الْأُولَى وَجَدُوا نِعْمَةً فِي عَيْنِي فِرْعَوْنَ، الَّذِي كَانَ قَدْ رَفَعَ يُوسُفَ إِلَى مُسْتَوَى رَئِيسِ الْوُزَرَاءِ.

لَكِنْ الْآنَ، أَصْبَحَ هَذَا كُلُّهُ مِنَ الْمَاضِي، وَوَصَلَ فِرْعَوْنُ جَدِيدٌ إِلَى السُّلْطَةِ، وَقِيلَ لَنَا إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ، الْأَمْرَ الَّذِي يُشِيرُ إِلَى حُدُوثِ تَغْيِيرٍ جَذْرِيٍّ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الزَّائِرِينَ الْيَهُودِ أَوْ التَّارِحِينَ وَبَيْنَ مِصْرَ، الْبَلَدِ الْمُضْيِفِ. فَقَالَ هَذَا الْمَلِكُ الْجَدِيدُ لِشَعْبِهِ "هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا". عَلَى الْأَرْجَحِ هَذِهِ مَبَالِغَةٌ، فَهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الْعَظَمَةِ. لَكِنْ فِي عَيْنَيْهِ، هُوَ كَانَ قَلْبًا جَدًّا إِزَاءَ نُمُوبِنِي إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِهِمْ. إِذَا، هُوَ قَالَ: "هَلُمَّ نَحْتَالِ لَهُمْ لِيَلَّا يَنْمُوا، فَيَكُونُوا إِذَا حَدَثَتْ حَرْبٌ أَنَّهُمْ يَنْضَمُونَ إِلَى أَعْدَائِنَا وَيُحَارِبُونَنَا وَيَصْعَدُونَ مِنَ الْأَرْضِ". فَقَالُوا: "يَجِبُ أَنْ نَتَحَلَّى بِالْفِطْنَةِ، يَجِبُ أَنْ نَتَوَخَّى الْحَذَرَ. فَمِنْ نَاحِيَةٍ، نَحْنُ لَا نُرِيدُ أَنْ يَرْحَلُوا لِأَنَّهُمْ يُشَكِّلُونَ الْيَدَ الْعَامِلَةَ فِي مَجَالِ

الخدمة لدينا الذي يعتمد عليه الاقتصاد كله، لكن في الوقت نفسه، نحن لا نريد أن يتكاثروا وأن يزدادوا قوة بحيث إنه إذا هاجمتنا أمة أخرى يشاركون في العُصيان وينضمون إلى صفوف أعدائنا ويُهلكوننا. إذا، ما يجب أن نفعله هو إبقاؤهم هنا، وإنما إبقاؤهم ضعفاء قدر الإمكان".

عندئذ، وضع فرعون برناجًا لتحقيق هذا الهدف. واسمعوا ما دفعه دهاؤه إلى فعله "فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم بأثقالهم". الفكرة هنا هي أنه كلما ثقلت أحمالهم خلال فترة العبودية، قل احتمال عيشهم حتى بلوغ سن الشيخوخة. وبالتالي، سيفضّر متوسط العمر المتوقع لدى الرجال خصوصًا بين العبرانيين. ثم يتابع قائلاً: "فبنوا لفرعون مدينتي مخازن: فيثوم ورعمسيس. ولكن بحسبما أذلّوهم هكذا نموًا وامتدوا". إذا، تحققت نتيجة معاكسة تمامًا لما حاول فرعون تحقيقه باحتياله. "فاختشوا من بني إسرائيل. فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف"، أي أنهم زادوا أحمالهم مجددًا، "ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل. كل عملهم الذي عملوه بواسطة يديهم عنفًا".

الأمر الذي حدث بعد ذلك بالغ الأهمية لتاريخ العالم. أنتم ترون الوضع الذي وجد فرعون نفسه فيه، وهو كان يحاول السيطرة عليه. قبل أن نتطرق إلى ما جرى لاحقًا أودّ طرح هذا السؤال؛ سؤال من شأنه أن يثير جدالًا بسهولة بين الشعب المسيحي. برأيكم، من هي أهم شخصية في العهد القديم كله؟ أنا أسمع اقتراح أسماء عدة تستحق هذا اللقب. قد يقول البعض: "آدم"، حتى إن البعض قد يقول "حواء" لأنها كانت أمًا لنا جميعًا. ويمكن حتمًا للبعض أن يرشحوا اسم إبراهيم لأنه أبو المؤمنين، وهو من دعاة الله ليترك الوثنية وقطع عهدًا معه ومع نسليه. قد يسمي البعض داود، كونه صورة مسبقة للملك العتيق أن يأتي في أيام العهد الجديد وهو شخص يسوع. جميع هؤلاء الأشخاص الذين ذكرتهم هم برأيي مرشحون مشرعوون. يشبه الأمر سؤال: "من كان أعظم لاعب كرة قدم على الإطلاق؟" يمكنكم التجادل إلى الأبد للإجابة عن هذا السؤال.

أما بالنسبة إليّ، وفي ما يتعلق بتاريخ الفداء، فأعتقد أن الشخص الوحيد الأكثر أهمية في العهد القديم كله هو موسى. لماذا؟ ليس لأنه قاد الشعب للتحرر من العبودية في سفر الخروج فحسب -مع العلم أن هذا الحدث شكّل نقطة تحول في التاريخ كله- وإنما أيضًا لأنه كان وسيط العهد القديم مثلما كان يسوع وسيط العهد الجديد. إنه هو من عمل الله من خلاله لإعطاء الشريعة لبني إسرائيل عبر تسليمه الوصايا العشر. أنا أفكر في الأمر بهذه الطريقة: بدون موسى، وبدون التحرر من العبودية، وبدون الخروج، لما بقي أي يهودي على قيد الحياة على وجه الأرض اليوم. فلو لا سفر الخروج وقيادة موسى لما تشكّل العبيد اليهود على يد الله وأصبحوا أمة، ولما حصلوا على الشريعة التي أعطيت من خلال موسى. لا يمكنكم دراسة علم القانون في الحضارة الغربية بدون ملاحظة تأثير الوصايا العشر

المُعْطَاة عَبْرَ مُوسَى عَلَى الْقَانُونِ الرُّومَانِيِّ فِي وَقْتِ لَاحِقٍ، وَبِالطَّبْعِ عَلَى الْقَانُونِ الْبَرِيْطَانِيِّ وَعَلَى عِلْمِ التَّشْرِيعِ الْأَمْرِيْكَائِيِّ.

إِذَا، هَذَا الرَّجُلُ بَالِغُ الْأَهْمِيَّةِ. كَمَا أَنَّ الْأَصْحَاحَاتِ الْأُولَى مِنْ سَفَرِ الْخُرُوجِ تُبَيِّنُ لَنَا الْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ الْاسْتِنَائِيَّةَ الَّتِي مِنْ خِلَالِهَا قَامَ اللَّهُ بِسِيَادَتِهِ بِإِعْطَاءِ مُوسَى لِلْعَالَمِ. فَهُنَا، كَانَ خَوْفُ فِرْعَوْنَ قَدْ تَفَاقَمَ لِدَرَجَةٍ أَنَّ بَرْنَامَجَ الْاِحْتِيَالِ الْجَدِيدِ - وَبِهَدَفِ دَرءِ مَخَافِهِ إِزَاءَ تَزَايُدِ قُوَّةِ الْعَبِيدِ الْيَهُودِ - كَانَ يَقْضِي بِقَتْلِ الْأَطْفَالِ الذُّكُورِ الَّذِينَ سَبُؤْلَدُونَ. وَفِي قِصَّةِ فِدَاءِ تَارِيخِيَّةٍ مُمَاتِلَةٍ وَمُهَمَّةٍ أُصْدِرَ فِرْعَوْنَ أَمْرًا لَا يَخْتَلِفُ عَنْ بَرْنَامَجِ هِيرُودُسَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَقْضِي بِدَبْحِ الْأَطْفَالِ بُعْيَةَ قَتْلِ الطِّفْلِ يَسُوعَ. إِذَا، فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ مِنَ التَّارِيخِ أُصْدِرَ فِرْعَوْنَ مَرْسُومًا يَقْضِي بِقَتْلِ الْمَوْلُودِينَ الذُّكُورِ الْيَهُودِ.

فَلَنَقْرَأَ مَا جَاءَ هُنَا "وَكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قَابِلَتِي الْعِبْرَانِيَّاتِ اللَّتَيْنِ اسْمُ إِحْدَاهُمَا شِفْرَةُ وَاسْمُ الْأُخْرَى فُوعَةُ، وَقَالَ: "حِينَمَا تَوْلَدَانِ الْعِبْرَانِيَّاتِ وَتَنْظُرَانِهِنَّ عَلَى الْكَرَاسِيِّ، إِنْ كَانَ ابْنًا فَاقْتُلَاهُ". لَيْسَتْ هَذِهِ بِبَسَاطَةٍ حُكُومَةٌ تُعَاقِبُ الْإِجْهَاصَ، لِكُونِهِ عَمَلًا شَرِيرًا جِدًّا. نَرَى هُنَا حُكُومَةً تَأْمُرُ بِقَتْلِ الْأَطْفَالِ حَدِيثِي الْوِلَادَةِ. الْحُكُومَةُ أَوْ الْمَلِكُ أَمَرَ الْقَابِلَتَيْنِ الْعِبْرَانِيَّتَيْنِ بِمَا يَلِي: "حِينَ تَرِيَانِ امْرَأَةً تَلِدُ طِفْلَهَا وَكَانَ الطِّفْلُ صَبِيًّا فَمِنْ وَاجِبِكَمَا قَتْلُهُ"، "وَإِنْ كَانَ بِنْتًا فَتَحِيًّا". الْآيَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ، "وَلَكِنَّ" هَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمَفْصَلَةِ لَدَيْ فِي تَارِيخِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. "وَلَكِنَّ" حَدَثَ أَمْرٌ أَعَاقَ تَنْفِيذَ هَذَا الْمَرْسُومِ الصَّادِرِ عَنْ أَقْوَى حَاكِمٍ فِي الْعَالَمِ. "وَلَكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ... بِالْمُنَاسَبَةِ، أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّهُمَا ارْتَعَبَتَا أَمَامَ قُوَّةِ فِرْعَوْنَ، وَكَيْفَ لَا تَرْتَعِبَانِ وَهُوَ أَقْوَى رَجُلٍ فِي الْعَالَمِ؟ لَكِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ يَقُولُ "وَلَكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ خَافَتَا اللَّهَ".

كَانَتْ هَاتَانِ امْرَأَتَيْنِ تَخَافَانِ اللَّهَ، تَشْعُرَانِ بِالرَّهْبَةِ وَالْخُوفِ إِزَاءَ الْإِسَاءَةِ إِلَى اللَّهِ أَكْثَرَ مِمَّا تَفْعَلَانِ إِزَاءَ الْإِسَاءَةِ إِلَى فِرْعَوْنَ. بِدُونِ تِلْكَ الْمَخَافَةِ وَالْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ لَمَّا وَجِدَ مُوسَى وَلَا سَفَرُ الْخُرُوجِ وَلَا التَّامُوسُ. إِذَا، "وَلَكِنَّ الْقَابِلَتَيْنِ خَافَتَا اللَّهَ وَلَمْ تَفْعَلَا كَمَا كَلَّمَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ". هَذَا عَمَلٌ عِصْيَانٍ مَدْيِيٍّ يَحْطَى بِبَرَكَاتِ اللَّهِ. لِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا دَائِمًا أَنْ نُطِيعَ الْحُكَامَ الْمَدْيِيِّينَ، إِلَّا إِذَا أَمَرُونَا بِالْقِيَامِ بِعَمَلٍ يَحْظُرُهُ اللَّهُ، أَوْ مَنَعُونَا مِنَ الْقِيَامِ بِعَمَلٍ أَمَرَ بِهِ اللَّهُ. فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، هُمَا تَلَقَّتَا أَمْرًا يَقْضِي بِقَتْلِ هَوْلَاءِ الْأَطْفَالِ، الْأَمْرَ الَّذِي يَتَعَارَضُ مَعَ صِفَاتِ اللَّهِ وَمَا يُمْلِيهِ عَلَيْهِمَا ضَمِيرُهُمَا. لِذَا، هُمَا لَمْ تُطِيعَا فِرْعَوْنَ "وَلَمْ تَفْعَلَا كَمَا كَلَّمَهُمَا مَلِكُ مِصْرَ، بَلِ اسْتَحْيَتَا الْأَوْلَادَ".

فَعَلِمَ فِرْعَوْنَ بِالْأَمْرِ، وَاسْمَعُوا مَا جَرَى "فَدَعَا مَلِكُ مِصْرَ الْقَابِلَتَيْنِ وَقَالَ لَهُمَا: "مَا الَّذِي فَعَلْتُمَا؟ لِمَاذَا أَنْقَذْتُمَا هَوْلَاءِ الْأَطْفَالِ؟ لِمَاذَا لَمْ تَفْعَلَا مَا أَمَرْتُكُمَا بِهِ؟" فِيمَ أَجَابَتِ الْقَابِلَتَانِ؟ أَجَابَتَا بِكَذْبَةٍ مُبَرَّرَةٍ، فَهَذَاكَ أَكَاذِيبُ مُبَرَّرَةٌ. نَحْنُ نُنْذِرُكَ أَنَّ أَخْلَاقِيَّاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ تُقَدِّسُ قَوْلَ الْحَقِيقَةِ وَتَدْعُونَا إِلَى قَوْلِ الْحَقِيقَةِ كُلَّمَا كَانَ يَوْسَعُنَا فِعْلُ ذَلِكَ.

لَكِنَّ الْمَبْدَأَ هُوَ الْآتِي: يَجِبُ أَنْ نَقُولَ الْحَقَّ دَائِمًا لِمَنْ يَسْتَحِقُّ سَمَاعَهُ، أَيْ أَنَّنَا مَدْعُوُونَ دَائِمًا إِلَى قَوْلِ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ كَامِلًا، وَلَا شَيْءَ سِوَى الْحَقِّ فِي الْقَضَايَا الْعَدْلِيَّةِ. لَكِنَّ إِذَا اخْتَرَقَ الْعَدُوُّ حُدُودَكَ وَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ الْمَقَرَّ الْمُؤَقَّتَ لِحِمَاةِكَ فَأَنْتَ لَسْتَ مُجْبَرًا عَلَى كَشْفِ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ السَّرِيَّةِ. إِذَا جَاءَ مُجْرِمٌ إِلَى بَيْتِكَ وَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مَكَانَ طِفْلِكَ وَكُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْوِي قَتْلَهُ، فَاللَّهُ لَا يَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَقُولَ لَهُ "إِنَّهُ مُخْتَبِئٌ فِي غُرْفَةِ النَّوْمِ".

كَانَ هَذَا تَضْلِيلًا إِلَهِيًّا يَحْظِي بِكَامِلِ بَرَكَةِ اللَّهِ. بِالْمُنَاسَبَةِ، هُمَا قَالَتَا لِفِرْعَوْنَ "إِنَّ النِّسَاءَ الْعِبْرَانِيَّاتِ لَسْنَ كَالْمِصْرِيَّاتِ، فَإِنَّهُنَّ قَوِيَّاتٌ يَلِدْنَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَهُنَّ الْقَابِلَةُ". لَا تَطُولُ فِتْرَةٌ مَخَاضِ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ، فَمَا إِنْ يَجِبْنَ مَوْعِدَ وِلَادَتِهِنَّ حَتَّى يَلِدْنَ الطِّفْلَ قَبْلَ وُصُولِ الْقَابِلَاتِ إِلَيْهِنَّ. ثُمَّ قِيلَ لَنَا: "فَأَحْسَنَ اللَّهُ إِلَى الْقَابِلَتَيْنِ". بَارَكَ اللَّهُ هَاتَيْنِ السَّيِّدَتَيْنِ نَظَرًا لِعِصْيَانِهِمَا الشُّجَاعِ وَإِنْفِصَالِهِمَا عَنِ بَرْنَامَجِ فِرْعَوْنَ. "وَنَمَّا الشَّعْبُ وَكَثُرَ جَدًّا. وَكَانَ إِذْ خَافَتِ الْقَابِلَتَانِ اللَّهُ أَنَّهُ صَنَعَ لَهُمَا بُيُوتًا. ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَوْنَ جَمِيعَ شَعْبِهِ قَائِلًا: "كُلُّ ابْنِ يُولَدُ تَطْرَحُونَهُ فِي النَّهْرِ، لَكِنَّ كُلَّ بِنْتٍ تَسْتَحْيُونَهَا". لَمْ يَقْتَصِرِ الْأَمْرُ عَلَى الْيَهُودِ بَلْ شَمَلَ الْجَمِيعَ. سَأَلْنَا مِنْهُمْ بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى.

وَنَفَرًا "وَدَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِ لَآوِي وَأَخَذَ بِنْتَ لَآوِي، فَحَبَلَتِ الْمَرْأَةُ وَوَلَدَتْ ابْنًا. وَلَمَّا رَأَتْهُ أَنَّهُ حَسَنٌ، حَبَّأَتْهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ". هِيَ أَنْجَبَتْ طِفْلَهَا، وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كُشِفَ أَمْرُ هَذَا الصَّبِيِّ الصَّغِيرِ لَدَى السُّلْطَانِ، وَلَدَى جُنُودِ فِرْعَوْنَ، فَهِيَ كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَتِمُّ قَتْلُ طِفْلِهَا، فَحَبَّأَتْهُ. هِيَ حَبَّأَتْهُ طَوَالَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ. يُمَكِّنُكَ إِبْقَاءُ ابْنِ سَيْتِهِ أَسَابِيعَ هَادِتًا نَوْعًا مَا، لَكِنَّ مَجْلُولِ الْوَقْتِ الَّذِي يَكْتُمِلُ فِيهِ نُمُو رَتَّتِيهِ، وَمَجْلُولِ الْوَقْتِ الَّذِي يَبْلُغُ فِيهِ الشَّهْرَ الثَّالِثَ مِنَ الْعُمْرِ لَا يُمَكِّنُ إِخْفَاءَ صَوْتِ بُكَائِهِ. إِذَا، بَدَأَ النَّاسُ يُلَاحِظُونَ وَجُودَ طِفْلٍ هُنَا. وَلَمْ يَعُدْ يُمَكِّنُ الْاسْتِمْرَارُ فِي نَحْبَتِيهِ.

مَكْتُوبٌ "وَلَمَّا لَمْ يُمَكِّنْهَا أَنْ تُحَبَّبَهُ بَعْدُ، أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا" أَيْ فُلْكًَا. إِنَّهَا الْكَلِمَةُ نَفْسُهَا الَّتِي تَمَّ اسْتِعْمَالُهَا لِلإِشَارَةِ إِلَى فُلْكِ نُوْجٍ. "أَخَذَتْ لَهُ سَفَطًا مِنَ الْبُرْدِيِّ وَطَلَّتْهُ بِالْحَمْرِ وَالرِّفْتِ"، هِيَ بَنَتْ هَذَا الزُّورَقَ الصَّغِيرَ. "وَوَضَعَتْ الْوَلَدَ فِيهِ، وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ الْحُفَاءِ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ". هِيَ أَوْدَعَتْ طِفْلَهَا لِلظَّفِ اللَّهِ وَسَيَادَتِهِ وَعِنَايَتِهِ، وَقَالَتْ لِنَفْسِهَا: "لَمْ يَعُدْ بِإِمْكَانِي حِمَايَةَ هَذَا الطِّفْلِ. يَجِبُ أَنْ أَتْرُكَهُ، وَيَجِبُ أَنْ أَسْتُودِعَهُ بَيْنَ يَدَيِ إِلَهِي لِكَيْ يُخَلِّصَ إِلَهِي حَيَاتَهُ وَيَحْيِيَهُ مِنْ غَضَبِ فِرْعَوْنَ". فَبَنَتْ ذَلِكَ الزُّورَقَ الصَّغِيرَ، وَلَمْ تَتْرُكْهُ يَطْفُو فِي نَهْرِ النِّيلِ بَلْ وَضَعَتْهُ فِي حُزْمَةٍ مِنَ الْقَصَبِ لِكَيْ يَبْقَى مَخْفِيًّا، وَجَعَلَتِ الْأُخْتَ الْبِكْرَ لِلصَّبِيِّ تَقْفُ وَتُرَاقِبُ لِتَرَى مَا إِذَا كَانَ أَحَدٌ سَيَأْتِي وَمَا إِذَا كَانَ أَحَدٌ سَيَأْتِي لِإِنْقَاذِ الطِّفْلِ.

بَعْدَ ذَلِكَ، وَبِفَضْلِ عِنَايَةِ اللَّهِ، نَزَلَتْ امْرَأَةٌ إِلَى النَّهْرِ لِتَغْتَسِلَ، وَهِيَ لَمْ تَكُنْ تَبْحَثُ عَنْ أَطْفَالِ عِبْرَانِيِّينَ تَتَبَّنَاهُمْ. هِيَ ذَهَبَتْ إِلَى النَّهْرِ لِتَسْتَحِمَّ، وَهِيَ لَمْ تَكُنْ أَيْ فِتَاةً، بَلْ كَانَتْ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ. أَيْمَكُنْكُمْ أَنْ تَتَخَيَّلُوا الرُّعْبَ الَّذِي اعْتَرَى قَلْبَ أُخْتِ مُوسَى حِينَ رَأَتْ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ تَقْتَرِبُ مِنْ حُزْمَةِ الْقَصَبِ حَيْثُ كَانَ السَّفَطُ الصَّغِيرُ مُحَبَّبًا وَأُخُوَهَا الطِّفْلُ فِي دَاخِلِهِ؟ آه لَا، إِنَّهَا تَقْتَرِبُ أَكْثَرَ فَكَثُرَتْ وَهِيَ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ. "وَكَانَتْ جَوَارِيهَا مَاشِيَاتٍ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ. فَرَأَتْ

السَّفَظَ بَيْنَ الحُلَفَاءِ، فَأَرْسَلَتْ أُمَّتَهَا وَأَخَذَتْهُ. مَا هَذَا؟ مَا هَذَا الشَّيْءُ هُنَا؟ "وَلَمَّا فَتَحْتُهُ رَأَتِ الوَلَدَ، وَإِذَا هُوَ صَبِيٌّ يَبْكِي". هِيَ فَتَحَتْ تِلْكَ الحُزْمَةَ الَّتِي لَمْ تَتَوَقَّعْ أَنْ تَجِدَهَا دَاخِلَ القَصَبِ، فَرَأَتْ طِفْلاً عُمُرُهُ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ. وَنَظَرَ الطِّفْلَ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَبَدَأَ يَبْكِي.

ثُمَّ نَقَرْنَا: "فَرَقَّتْ لَهُ وَقَالَتْ: "هَذَا مِنْ أَوْلَادِ العِبْرَانِيِّينَ". هِيَ لَمْ تَقُلْ: "هَذَا مِنْ أَطْفَالِ العِبْرَانِيِّينَ، سَأُبَلِّغُ أَبِي لِكَيْ يَأْمُرَ جُنُودَهُ بِالمَجِيءِ وَالتَّخْلِصِ مِنْ هَذَا الطِّفْلِ"، لا، بَلْ هِيَ رَفَّتْ لَهُ، فَهِيَ امْرَأَةٌ، وَغَرِيْبَتُهَا الطَّبِيعِيَّةُ لَدَى رُؤْيَةِ طِفْلِ يَبْكِي تَدْفَعُهَا إِلَى التَّحَنُّنِ عَلَى ذَلِكَ الطِّفْلِ وَحَمْلِهِ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا لِتَحَاوِلَ تَهْدِئَتَهُ. هِيَ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الوَصَايَا العَشْرِ أَوْ سِفْرِ الخُرُوجِ، وَأَنَّهَا تَحْمِلُ وَسَيِّطُ العَهْدِ القَدِيمِ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا، إِنَّهَا امْرَأَةٌ تَتَحَنَّنُ عَلَى طِفْلِ مَثْرُوكٍ وَعَائِمٍ.

"فَقَالَتْ أُخْتُ مُوسَى لَابْنَةِ فِرْعَوْنَ: "هَلْ أَذْهَبُ وَأَدْعُو لِكِ امْرَأَةٍ مُرْضِعَةٍ مِنَ العِبْرَانِيَّاتِ لِتُرْضِعَ لِكَ الوَلَدِ؟" فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: "أَذْهَبِي". فَذَهَبَتِ الفَتَاةُ وَدَعَتِ أُمَّ الوَلَدِ. فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: "أَذْهَبِي بِهَذَا الوَلَدِ وَأَرْضِعِيهِ لِي وَأَنَا أُعْطِي أَجْرَتِكَ". أَذْهَبِي بِهَذَا الوَلَدِ وَاعْتَنِي بِهِ لِي فَأَنَا سَأَتَّبِعِي هَذَا الطِّفْلَ، وَسَأُعْطِيكَ أَجْرَتَكَ إِذَا أَرْضَعْتِهِ. "سَتُعْطِيَنِي أَجْرَتِي؟ هَذَا طِفْلِي. سَأَرْضِعُهُ حَتْمًا". لَكِنَّهَا لَمْ تَقُلْ ذَلِكَ. "وَلَمَّا كَبِرَ الوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ "مُوسَى" وَقَالَتْ: "إِنِّي انْتَسَلْتُهُ مِنَ المَاءِ". هَكَذَا بَدَأَتْ حَيَاةَ مُوسَى. وَبَعْدَ ثَمَانِينَ سَنَةً مِنْ تِلْكَ اللِّحْظَةِ سَيَتَقَابَلُ مُوسَى مَعَ اللّهِ الحَيِّ فِي العُلَيْقَةِ المَتَّقِدَةِ فِي بَرِّيَّةِ المِديَانِيِّينَ.

الدكتور آر. سي. سبرول هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ ليجُونير، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ القَدِيسِ أندرو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سانفورد بولاية فلوريدا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِكَلِّيَّةِ الكِتَابِ المُقَدَّسِ لِلإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ أَلْفَ أَكْثَرٍ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُلُّنَا لاهوتيون" (Everyone's A Theologian).